وزارة التعليم العالي والبحث العلمي المادة : اللسانيات

جامعة الانبار – كلية الآداب أستاذ المادة : أ.د. علي حسين

قسم اللغة العربية - ( الماجستير / لغة ) الفصل الثاني (٢٠١٩ - ٢٠٢٠)

## المحاضرة : الرابعة
## (( الاتجاهات اللسانية ))

سوف نبدأ الحديث عن الاتجاهات اللسانية بأصولها الفلسفية ، ولا سيما أصولها الأنطولوجية ، والإبستمولوجية ، ثم نلقي الضوء على مدارسها .

١-الأصول الأنطولوجية والإبستمولوجية الموجّهة لاتجاهات المدارس اللسانية في القرن العشرين* تتحكم الأصول الأنطولوجية ، والإبستمولوجية إلى حد كبير في تشكيل الاتجاهات اللسانية ، وكثيرا ما يعود الاختلاف المنهجي بين اللسانيات إلى موقفهم من هذه الأصول .

وليس شرطا أن تكون هذه الأصول سابقة زمنيا للاتجاه المدرسي ، بل قد تكون تبلورت ، واتضحت معالمها في مرحلة متأخرة ، ولكن تسويغ جعلها من الأصول كونها تفسر بعض اتجاهاتها ، وخصائصها .

ولقد آثرنا أن نبدأ بالحديث عن أهم الأصول الأنطولوجية ، والإبستمولوجية ، والفلسفية التي وجّهت اتجاهات المدارس اللسانية معزولة عن السياقات التاريخية ، والجغرافية التي وقعت فيها ، ولما كان الأمر يقتضي ربط تلك الأصول بالمدارس اللسانية ، وتوضيح آثار تلك الأصول كان لا بد من تقديم نبذة موجزة عن أهم المدارس التي ظهرت في القرن العشرين لكي نوضح من خلالها أهم أفكارها ، ونربط تلك الأفكار إما على نحو مباشر ، أو غير مباشر بالأصول التي تحدثنا عنها . وبذلك نضمن أن تتسنى للقارئ الفرصة للاطلاع على أصول تلك المدارس ، وأهم فروعها ، والصلة بين تلك الأصول ، والفروع في آن واحد ، كما نضمن الحديث عن أصول فلسفية أخرى يحسن أن تعرض في إطارها التاريخي. وقد دفعني إلى الكتابة في هذا الموضوع النقص الظاهر في تناول هذا النوع من الموضوعات التي لا تقف عند الجزئيات ، والآراء ، والأفكار ، بل تمتد إلى التعمق في الأصول المفسرة لتلك الفروع. ولا يخفى على الباحثين أهمية البحث في أصول العلوم ؛ إذ بدونها لا يمكننا فهم الإطار النظري الذي يلم شملها ، ويحقق وحدتها ويسوّغ منهجيتها ، ويعين على فهم فروعها ، ويربط بين جزئياتها .

### ـ أهم الأصول :

لقد حاولتُ في هذه الدراسة أن استقرئ أهم تلك الأصول فاستنتجت أنها تتعلق بآراء تلك المدارس في مفهوم العلمية في اللسانيات ، وتحديد قدر الكفاية فيه ، وموقفهم من الحد الذي يمكن أن يمتد إليه مستوى التجريد في دراسة الظواهر اللغوية ، ومواقفهم الأنطولوجية من الكليات ، والجزئيات ، ووجهات نظرهم في مفهومي اللغة ، والكلام ، وتحديد ما الذي ينبغي للساني أن يدرسه منها ، واختلافهم في طبيعة اللغة ، وفي تحديد أهم الجوانب اللغوية التي ينبغي للساني توجيه اهتمامه إليها ؛ فضلا عن أصول أخرى آثرنا الحديث عنها عند الكلام عن المدارس نفسها .

### ـ مفهوم العلمية في اللسانيات :

يتفق اللسانيون في القرن العشرين على أن اللسانيات هي الدراسة العملية للغة ، ولكنهم يختلفون فيما يمكن أن يوصف بأنه علمي ، أو غير علمي ، الأمر الذي ترتب عليه تفاوت فيما بينهم في تحديد نطاق العلم ، وحدوده . لقد ساد الاعتقاد في بداية القرن التاسع عشر بأن توجيه البحث اللغوي نحو البعد التاريخي أكسب الدراسات اللغوية طابع العلم

، وقد ألمح إلى ذلك اللغوي الدنماركي أوتو جسبرسن : في قوله "إن الصفة المميزة لعلم اللغة Science of language.كما يفهم الآن هي السمة التاريخية "

ومن العوامل التي كان لها أثر فعال في تحديد مفهوم العلم في البحث اللساني ثلاثة تيارات مهمة هي التجريبية empiricism، والوضعية positivism،والعقلانية rationalismوقد بلغت أهمية هذه النزاعات الفلسفية شأوا جعلت جون لاينز يقول: إنه بدون معرفة التجريبية والإيجابية لا يمكن أن يتوقع من طلاب اللسانيات" أن يفهموا بعض القضايا النظرية ، والمنهجية التي ميّزت بعض المدارس اللسانية من أخرى في الوقت الحاضر " فالتجريبية تشير إلى وجهة النظر القائلة بأن كل المعرفة تأتي من الخبرة ، ولاسيما من الإدراك الحسي ، والمادة المأخوذة من الحس ، وقد تبنت هذه النظرة المدرسة الوصفية الامريكية التي كان يتزعمها اللساني الأمريكي بلومفيلد.

الذي تأثر إلى حد كبير في عالم النفس (واطسن watson) مؤسس المدرسة السلوكية في علم النفس نشر واطسن مؤلفة السلوكية Behaviorismفي سنة ١٩٢٤، ولكنه مهّد له ببعض المبادئ التي وردت في بعض مقالاته ، ومحاضراته . عُرِف السلوكيون بصرامتهم في الدعوة إلى المحافظة على الموضوعية ، وانتقاد العقلانيين في الاعتماد على الحدس ، والاستبطان في الحكم على المادة اللغوية ورفضهم إقحام الأنظمة العميقة المفسر السلوك الخارجي ،وقد وصف تشومسكي Chomsky(وهو اللساني ، والفيلسوف الذي أعاد الاعتبار إلى الفلسفة العقلانية ) هذا الرفض بأنه " موضوع لا يقبل الجدل ؛ لأنه تعبير عن افتقاره إلى الاهتمام بالنظرية ،والتفسير " ويتساءل عما إذا كان المهم هو التبصّر في البحث أم مجرد التعلّق بالموضوعية مشيرا إلى أن العلوم الاجتماعية ، والسلوكية تبرهن على أننا قد نلهث وراء الموضوعية دون أن نظفر إلاّ بقسط قليل من التبصر ، والفهم ، ويرى أن التغاضي عن الاحكام الاستبطانية لغرض الحفاظ على النقاء المنهجي ما هو إلا حكم على دراسة اللغة بالجدب ، والعقم .

وهكذا بينما كان بلومفيلد ، وأتباعه يسألون " كيف يمكن أن نصف ، ونحلل ما يقوله المتكلم ، والكاتب من كلام يمكن للملاحظ الخارجي أن يلاحظ عيانا ؟كان التشومسكيون يسألون" ما يدور في عقل المتكلم السليقي ، أو الفصيح بحيث يمكن أن يدعى متكلما للإنكليزية ،أو السواحلية ، أو اليابانية ،أو اللاتينية الكلاسيكية ، أو أية لغة أخرى. ويرتبط هذا الأمر بالحجة التي استخدمها التشومسكيون ضد السلوكيين ، وهي ظاهرة اللاتناهي infinity في عدد من الجمل التي يمكن للمتكلم في أية لغة أن يقولها . وهي تعني أن ما يحمله المتكلم في رأسه من الجمل الممكنة أكثر بكثير من القولات التي قيلت بالفعل . وقد أدى هذا الأمر إلى العناية بالحدس (intuition) ، والاستيطان (introspection) بوصفهما أفضل وسيلتين لاستكشاف ما يدور في العقل المتكلم . كما انشغل اللسانيون بأفكار كانت تعد من الميثافيزيقيات التي لا يليق باللسانيات دراستها ، ومن هذه الأفكار مفهوم البنية العميقة ، وافتراض العمليات الحاسوبية المعقدة التي تحدث في أذهان المتكلمين ، والقواعد العمومية التي يولد بها الإنسان . وبذلك تحول البحث اللساني إلى العقلانية ، وانتكست التجريبية التي تبناها بلومفيلد ، وأتباعه. وقد وصف روبنز ( Robins) الفرق بين منهج تشومسكي ، ومنهج التجريبيين بقوله : " كان تشومسكي ، ومن تبعه في منهجه العام ينظرون إلى اللغة من الداخل ؛ أي إلى كفاية المتكلم السليقي في استعمال لغته ، وفهمها ، في حين كان على التجريبيين - مخلصين في ذلك لمبادئهم - أن ينظروا إلى اللغة من الخارج مثلما تفعل العلوم الطبيعية ، وكان عليهم أن يشغلوا أنفسهم حصرا بظاهرتي الكلام ، والكتابة التي يمكن ملاحظتهما عيانا .

وبناء على رأي تشومسكي فإن اللغة في حد ذاتها إنما هي مفتاح لفهم جزئي للعقل ، أو الدماغ البشري ؛ ولذا صرح غير مرة بنظرته إلى اللسانيات على أنها فرع من علم النفس الإدراكي cognitive psychology.

ولعل من المهم هنا أن نشير إلى وجود تلازم بين المدرستين التجريبية ، والوضعية فيما يتعلق باللسانيات على رغم مما بينهما من اختلافات تاريخية ، وفلسفية . فالوضعية نزعة علمانية نشأت في سباق حملة النقد الموجهة ضد تيار المناظرات الغيبية ، والميثافيزيقية ، وعرفت برفضها لكل ما ليس له وجود فيزيائي . وكان لهذه المدرسة مبدآن مشهوران هما مبدأ التحقق principle of verification ، ومبدأ التخفيض principle of reductionism. ووفقا لمبدأ التحقق لا تكون الفكرة مفيدة مالم تثبت صحتها بالملاحظة ،أو بمناهج علمية معيارية تطبق على المادة المجموعة بالملاحظة ، أما مبدأ التخفيض فيقتضي وجود أولويات للعلوم تجعل بعضها أساسا للآخر ، فالفيزياء ، والكيمياء أكثر أساسا more basicمن الأحياء ، والأحياء أكثر أساسا من علمي النفس ، والاجتماع ، وهكذا. وفي التركيبة الكلية للعلم الموحّد تُخفّض مفاهيم (ومناهج) العلوم الأقل أساسا إلى المفاهيم (ومناهج) العلوم الأكثر أساسا (أي يعاد فهمها ، وتفسيرها في ضوئها ) . وعلى الرغم من أن مبدأ التحقق قد تُخلي عنه الآن فلا نزال نرى أثره في نظرية المعنى القائمة على اشتراط الصحة truth. conditional theory of meaning . أما مبدأ التخفيض فلم يعد جذَابا كما كان في عهد بلومفيلد. وعلى وجه العموم ، لقد أتسمت لسانيات القرن العشرين (شأنها في ذلك شأن علمي النفس ، والاجتماع ) بطابع الفلسفة الوضعية ، ولكن هذه الفلسفة بدأت تتعرض مؤخرا

ـ كما يذكر لا ينزل إلى النقد بوصفها غير عملية ، وعقيمة . وهكذا فإن كلتا الفلسفتين التجريبية ، والوضعية ـ خلافا للعقلانية

ـ ترفضان إقحام الموضوعات التي تخرج عن نطاق الملاحظة ، أو تتعدى حدود الوصف المقتصر على العناصر التي يمكن التحقق منها . وكما لاحظنا فإن تبني الفلسفة العقلية ميز بوضوح مدرسة تشومسكي من المدرسة السلوكية التي اعتمدت الفلسفتين التجريبية والوضعية ، إطارا نظريا لأفكارها .

## ـ الكفاية في البحث اللساني:

يرجع جزء كبير من الاختلاف بين بعض المدارس اللسانية على الأقل إلى اختلافهم في قدر الكفاية الذي ينبغي أن يتحقق في البحث العلمي ؛ ولذا نراهم يعطون إجابات مختلفة للسؤال الآتي : ما القدر الذي يفي بالمراد في فهم الظواهر اللغوية ، واستكناه حقيقتها ؟. ويتحدث اللسانيون عادة من ثلاثة أنواع من الكفاية هي الكفاية في الملاحظة ، والكفاية في الوصف ، والكفاية في التفسير . وتأخذ هذه الكفايات السابقة ترتيبا يبدأ بالأولي التي تعد في أسفل السلم ، ثم تأتي الكفاية في الوصف التي تتوسط الكفايتين السفلى ، والعليا . بينما تكتفي بعض المدارس اللسانية بالكفايتين الأولى والثانية يصر تشومسكي على أهمية الكفاية التفسيرية ، بل إنه يرى أنها أهمها على الإطلاق . وإذا كان اللساني يتفقون على أن الملاحظة شرط أساسي في البحث اللساني ، كما أنها المنطلق المبدئي لاستكشاف الظاهرة اللغوية ، فإنهم يختلفون في موضوع الملاحظة ، فالسلوكيون مثلا يرون أن الانتباه ينبغي أن يتركز على العناصر اللغوية القابلة للملاحظة في حين يرى التوليديون بزعامة تشومسكي أن العرفة اللغوية للمتحدث السليقي هي الموضوع الحقيقي للملاحظة . وهكذا فأن العناية ينبغي أن تنصبَّ على أنماط الجمل ، ومناويلها ثم عزو كل قولة فعلية إلى ما يناسبها من تلك الأنماط ، وهذه مهمة تتم عادة على مستوى الملاحظة . وعلى الرغم من ذلك فقد أولى تشومسكي هذا المستوى عناية أقل ؛ لأن الحقائق المتصلة بالموضوع ( التعبيرات ، والجمل الممكنة في لغة ما ، وخصائصها البنيوية ) يحصل عليها من حدس اللساني ، وليس من الملاحظة المباشرة ، كما أن المعرفة اللغوية للمتكلم السليقي ( وليس المادة المدوّنة ) هي موضوع اللسانيات .

ويمكن توضيح الفرق بين الوصف ، والملاحظة أن الوصف يتجه نحو الحقائق في حين تتوجه الملاحظة نحو المادة اللغوية سواء تلك التي يمكن ملاحظتها في كلام المتكلمين كما يرى السلوكيون أم تلك التي تأخذ شكل المعرفة

اللغوية التي يحملها المتحدثون المثاليون في أذهانهم كما يرى التوليديون ،ولا يمكن أن تتحقق الكفاية في الحالتين إلا إذا تمت الملاحظة ، أو الوصف على نحو سليم . ومن الشروط الأساسية التي لا يكون البحث العلمي بدونها كافيا في الملاحظة خصيصة الشمولية التي تقتضي عدم إهمال أية سمة من سمات الظاهرة ، أو الظواهر المدروسة . أما الوصف فيستلزم ضربا من التجريد الذي يصبغ الدراسة بطابع العلم . اعتاد السلوكيون ، والبنيويون إجمالا قبل تشومسكي على الاقتصار على الوصف في دراسة الظاهرة اللغوية دون الخوض في تسويغها ،آو تأويلها ، أو تفسيرها ، أما التوليديون الذين كان لهم عناية خاصة بفكرة العموميات فلم يكتفوا بالملاحظة ، أو الوصف ، بل رأوا أنه من الضروري إذا ما رمنا فكرة الوصل إلى صوغ قواعد عالمية تنطبق على جميع اللغات أن نغوص في المبادئ ، والأسس المفسرة للظواهر الخارجية.

يقول تشومسكي :

*ويتحقق المستوى الأدنى من النجاح إذا قدم النحو المادة الأولية الملاحظة تقديما سليما ، ويمكن بلوغ المستوى الثاني ، والأعلى من النجاح عندما يقدم النحو تسفيرا سليما للحدس اللغوي للمتكلم السليقي ،

ويحدد النحو كذلك المادة الملاحظة (ولا سيما) من حيث التعميمات المهمة التي تكشف عن الاطرادات الأساسية في اللغة . ويمكن بلوغ المستوى الثالث (والأعلى على الأطلاق )من النجاح عندما تقدم النظرية اللسانية المعينة أساسا عاما لاختيار القواعد التي تحقق المستوى الثاني من النجاح على حساب قواعد أخرى منسجمة مع المادة الملاحظة ذات الصلة لكنها لا تحقق هذا المستوى من النجاح . وفي هذه الحال نقول إن النظرية اللسانية المعنية تقترح تفسيرا للحدس اللغوي للمتكلم السليقي .

ولعل من النقاط الجوهرية التي تميز أصول التوليديين من غيرهم أن ما هو من ملاحظة ليس بالضرورة هو الأهم في البحث اللساني ؛ بل أن * ما هو ملاحظ ربما لا يكون في كثير من الأحيان مناسبا ، ولا مهما ،

وما هو مناسب ، ومهم قد تصعب ملاحظته . ويشبه هذا إلى حد كبير معالجة النحاة العرب لبعض الأبواب ، والجزيئات النحوية ، والصرفية التي اتسمت في كثير من الأحيان بالتعليل ، والتفسير ، والتقدير ،

والتأويل رغبة في بلوغ أكبر قدر من الاطراد ، والانسجام . إن تشومسكي ، ولسانيين توليديين آخرين يعدون اختلاف مفهومهم في الكفاية عما يعدونه مفهوم دو سوسور الجامد للغة بوصفها خزانة لغوية يمكن في الجانب الإبداعي غير المحدود لمعرفة المتكلم السليقي للغته . وهو ما يميز أيضا إبداعية اللسانيات التوليدية من الهدف التصنيفي المحدود للبلومفيلديين ، وهو هدف لا ينكره الجيل البلومفيلدي .

**ـ حدود التجريد :**

تختلف المدارس اللسانية في تحديد المدى الذي ينبغي أن يمتد إليه التجريد في البحث اللساني . وتتميز المدرسة التوليدية بوضوح من غيرها من المدارس اللسانية بإغراقها في التجريد ، ولعل من نافلة القول أن نذكر بأن هذا يتصل جزئيا اتصالا وثيقا بتعويلهم على الكفاية التفسيرية في فهم الظاهرة اللغوية ، وتقدّم اللسانيات . فالوصف اللغوية للبنى السطحية وحدها لا يحقق طموحات التوليدي في التبصر بالأسس المفسرة للشكل الذي تأخذه تلك البنيات الخارجية ، ولذا ينبغي البحث عما هو أبعد ، وأعمق من تلك المظاهرة السطحية ، فوجدوا ضالتهم في مفهوم البنى العميقة ، وفضلا عن ذلك فإن التوليديين يشاركون البنيويين في اعتماد مستوى أقل من التجريد ، وهو مستوى الجملة في مقابل مستوى أقل من التجريد ،وهو مستوى الجملة في مقابل مستوى القولة . ويمكن توضيح الفرق بين الجملة ،

والقولة باللجوء إلى تفريق دو سوسور بين اللغة ، والكلام ، فبينما تنتمي الجملة إلى اللغة تنتمي القولة إلى الكلام ، إذ إن القولة هي التركيب المفيد الذي ينطقه المتكلم بالفعل في سياق معين في زمن معين ؛ وفي مكان معين ، أما الجملة فهي ما ينشأ عن تجريد طائفة من القولات المتشابهة إلى الحد الذي يسمح بالحكم بانتمائها إلى نمط تركيبي واحد ويرى بعض اللسانيون أن هناك مستويات مختلفة من التجريد منها ما يقع بين القولة والجملة كما يرى شنل الذي ذكر خمسة مستويات تبدأ بالأحداث الصوتية في الكلام ، والخطية في الكتابة بوصفها نتاجا لعملية القول ، وتنتهي بأشكال التعبير النحوية المجردة عن الأصوات المنطرقة ، والحروف المكتوبة ومن هذه المستويات ما يقع بين الجملة في بنيتها السطحية ، وما يعلوها تجريدا على مستوى البنية العميقة مرورا بدرجة ، أو أكثر من البني الوسطى.